ميلاد أمـــــة

للأستاذ حامد بدر

كنا نريد الكلام ولا نتكلم . ولنا ألسن ؛ لأن على الأفواه أقفالا . وكنا نظلم ويبطش بنا ، فلا نستطيع أن نرد الظلم ، أو ندفع البطش . ولنا أيد ؛ لأن فى الأيدى أغلالا . وكنا نؤخذ فى كل شئ قسرا . فلا نجد مفرا . لأن الحرية ضائعة . والطغيان بالغ منتهاه !

فإذا فاض الإناء . ونفد الصبر . لم يجد الكاتب ما يخفف به من بلائه سوى زفرة حارة يرسلها على القرطاس . فى عبارة مقنعة لا يفهمها إلا من يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير . ولا يعرف أسرار الرموز . ويفك عقد التعابير إلا من نزل به هم كهم هذا الكاتب المحزون ، أو أصابه جرح كجرح ذلك الفصيح الأبكم !

ولا شك فى أن للمظلوم الذى لاذ بالصمت كارها شكاة تسمع ولو لم ينطق بها . فليس بين الإله وبين قلوب عباده حجاب . وهو بالمظلومين والظالمين خبير بصير . كما لا شك فى أن للظالم جزاء يلاحقه أينما كان . فإن لم يلحقه عاجلا . فلابد أن يلتقى به فى يوم ما . وإن يوم الفصل الذى أعده لأبشع وأشنع وأفظع من كل انتقام عاجل يصيبه فى الدنيا !

كنت بالأمس لا أستطيع الكلام الصريح . ولى لسان عليه غل . وفى يدى قلم عليه غل أيضا . فإن حاولت الكتابة لأنفس عن نفسى . وأخفف من آلامها . أخذت أدور حول الغرض ولا أقربه . ولأنى أمقت الدوران . كنت كثيراً ما أطوى الكتاب قبل إتمامه . وأعرض عن الموضوع قبل استيعابه

كنت أقول فى نفسى : إن كل شئ فى الصدر مخطوط . وفى الإفضاء بما فى الصدر راحة . ولكن كيف أسجل شكاتى التى أريدها صريحة ناصعة ولا سبيل إلى ما أردت ؟ لن أكتبها مشوهة مبتورة ! فالسكوت السكوت !

هكذا كنت أوثر السكوت وأنا مكره . والآن وقد انطلقت الألسن والأقلام .. فما عذرى إن لم أتكلم ؟

بالأمس كنت مكرها على السكوت . واليوم زالت الأسباب التى من أجلها أردت الكلام . فلا كلام بالأمس . ولا كلام اليوم ! والفرق واضح بين سكوت الأسير العاجز ، وسكوت الحر القادر ، وليس أدل على الرضا من سمت المرء وهو قادر على الإفصاح

كنت بالأمس أريد التحدث عن الحرية المسلوبة . والحق الضائع . والظلم القائم . واليوم وقد ردت الحرية . وجاء الحق . وذهب الظلم . لا أجد ما يدعونى إلى الكلام

إن العبرة تذهل من يفكر تفكيراً عميقا فى هذا الحلم الذى حققه بمشيئة الله وقدرته — جيشنا الأمين . وقائده النجيب . وإن نشوة الانتصار تغمر قلب كل مصرى ، يفيض من الحمد والشكران

لا أريد اليوم أن أقول شيئاً . فإن الرضا بالحاضر أسكتنى . والثقة بأن الزمام فى أيدى الأمناء المخلصين الذين خرجوا بنا من الهوة . إنما هى ثقة من يتطلع إلى القمة ، فلا شك فى أن الخروج من الهوة صعود . والوصول إلى القمة منتظر « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »

إن كل دقيقة ينفقها الرجل فى كلام ضائع . وهو قادر على إنفاقها فى عمل نافع . لهى فرصة ضائعة . وإضاعة الفرص المتاحة خيانة وسرقة ومماطلة فى حقوق البلاد

وإنه ليغمرنى شعور بالرضا . وراحة الضمير . والشكر لله سبحانه . عندما ينهض الرئيس على ماهر ليتكلم فيقول : عملنا وفعلنا وقررنا .. وكان غيره يقول : سنعمل وسنفعل .. والفرق كبير جدا بين الوقت الذى أنفقه الرئيس على ماهر فى العمل . والوقت الذى أضاعه غيره فى إنشاء الخطب وإذاعتها ونشرها . هذا وقت قليل جدا فى حساب الساعات والدقائق . لكنه كثير مبارك . فى نتائجه السريعة الناجحة . وذاك وقت كبير جدا فى حساب الأيام والسنين . لكنه صغير تافه . فى نتائجه البطيئة الفاشلة

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت للبلاد رئيسا حكيما مخلصا . وجيشا قويا أمينا يقوده قائد قوى أمين

لو قيل لى : ماذا تتمنى ؟ لتمنيت ما كان . فحمداً لله على أن حقق ما تمنيت . فأعطى البلاد خيرا كثيرا يعقد الألسن من العجز عن تصوير معانى الرضا والشكران .